مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية
المجلد42 العدد (2) – 2026: 44-57

Damascus University Journal for engineering sciences
Vo 42 number (2) -2026: 44-57

توظيف الأسطورة في النحت العربي الحديث
(نماذج من النحت المصري، العراقي، السوري)

غاندي الخضر[1*] فؤاد دحدوح[2]

[1*]. طالب دكتوراه– قسم النحت– كلية الفنون الجميلة – جامعة دمشق.
ghandykk19@Damascusuniversity.edu.sy
[2]. أستاذ، دكتور، قسم النحت، كلية الفنون الجملة. جامعة دمشق.
FouadDahdoh@Damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يتناول هذا البحث الأساطير ومكوناتها في النحت العربي الحديث، ويرصد أثرها في بنية الأعمال النحتية المعاصرة، من حيث المضمون، والبناء الفني، والخيال، والقيمة الجمالية إضافة إلى الهدف الأساس من توظيفها، الأمر الذي يكشف إما عن قيم جمالية وفنية، أو عن أسباب تتعلق بفهم الذات والعالم والوجود، وإما يأتي هذا التوظيف للحفاظ على القيم الموجودة في الأسطورة، أي كتوثيق.

ويحاول هذا البحث أن يكشف عن الجوانب الفنية والدلالية في النحت العربي الحديث وبالخصوص ما يتعلق بظاهرة توظيف الأسطورة (بشكلها ومضمونها)، ثم فهم العلاقة القائمة بين الأسطورة والفن وخاصة فن النحت العربي الحديث، إضافة إلى معرفة أسباب اهتمام النحات بالأسطورة وأساليب توظيفها.

وعليه فقد قام البحث على عدة طروحات، تتناول الأسطورة في حدود تعاريفها اللغوية والاصطلاحية، ووظيفتها وبُعدها الجمالي، وقراءة في نماذج من النحت العربي الحديث، تلك التي استلهمت موضوعاتها من الأسطورة.

الكلمات المفتاحية: توظيف، الأسطورة، النحت العربي الحديث.

تاريخ الإيداع: 2023/7/17
تاريخ القبول: 2023/8/23

حقوق النشر: جامعة دمشق –سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب CC BY-NC-SA

http://journal.damascusuniversity.edu.sy/index.php/index/index
ISSN (online): 2789-6854

Employing the legend in modern Arabic sculpture (Models of Egyptian, Iraqi and Syrian sculpture)

Ghandy alkhedr*[1] Fouad Dahdoh[2]

*[1.] PhD Student - Undergraduate Department - Faculty of Fine Arts - Damascus University.
ghandykk19@Damascusuniversity.edu.sy

[2.] Pro, Undergraduate Department - Faculty of Fine Arts - Damascus University.
FouadDahdoh@Damascusuniversity.edu.sy

Received: 17/7/2023
Accepted: 23/8/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

Abstract:

The research deals with the roots of myths and their components in modern Arab sculpture, and monitors their impact on the structure of these works, in terms of content, artistic construction, imagination, and aesthetic value, in addition to the main goal of their employment, which reveals either aesthetic and artistic values, or reasons related to understanding The self, the world, and existence, or this employment comes to preserve the values found in the myth, that is, as documentation.

This research attempts to reveal the technical and semantic aspects of modern Arab sculpture, especially with regard to the phenomenon of employing myth (in its form and content), then understanding the relationship between myth and art, especially the art of modern Arab sculpture, in addition to knowing the reasons for the interest of the modern Arab sculptor in myth and the methods of employing it.

Accordingly, the research was based on several topics, dealing with the myth within the limits of its linguistic and idiomatic definitions, its function and aesthetic dimension, and a reading of models of modern Arab sculpture, those whose positions were inspired by the myth.

Keywords: employment - legend - modern Arabic sculpture.

المقدمة:

تعد الأسطورة بأنواعها وتجلياتها مصدراً غنياً للإبداع الفني فمضمونها وقف على معرفة الإنسان وإدراكه للوجود، فهي من آليات التفكير الخصبة للشعوب، لذلك كانت اهتمام وعناية الفنان/النحات قديماً وحديثاً، لما تمتلك أيضاً من قيم فكرية تخدم الحالةالفنية والجمالية لتُثري وتُغني التجربة المعاصرة على الصعيدين، الإنساني والتشكيلي. ولأن بعض التجارب النحتية تتشكل من حالتين: الواقع والخيال، فإن توظيف الأسطورة مدّت تلك التجارب بطيف من القيم التعبيرية.

إن الأسطورة، برموزها، وطريقة تناولها لمسائل الوجود والإنسان، والحياة، والموت، تُصبح من المعطيات المثيرة التي يوظّفها النحات لإغناء تجربته. فالأسطورة، بشكل أو بآخر تمثل مرحلة حيوية من مراحل تطور الوعي الإنساني.

من هنا، فإن البحث يرصد توظيف الأساطير وموضوعاتها في التجارب النحتية الحديثة، حيث نهل النحاتون منها، فأثرت على مفاهيم النحت وتشكُّلاتها، وفتحوا أمام المنجز النحتي الحديث آفاقاً فنية جديدة.

إشكالية البحث:

تكمن الإشكالية في السؤال عن الأسطورة، وما أشكالها؟ وما هي الدوافع التي دفعت بالنحات الحديث لتوظيف الأسطورة في منجزه؟ وما أثر ذلك وتأثيره على النحت الحديث شكلاً ومضموناً؟ وهل في هذا التوظيف تقليدٌ أم تجديدٌ؟

أهمية البحث:

تكمن الأهمية في معرفة المرجعيات الأسطورية التي وظّفها النحات الحديث في منجزه النحتي، وتحديد قيمة هذه الأساطير من نواحي عدة: تشكيلية وفكرية. وأيضاً، معرفة القيم الجمالية للأساطير التي وظّفها النحات في أعماله.

كما ويكمن الهدف من البحث في الوقوف عند أعمال نحتية حديثة، والكشف عن علاقتها بالأسطورة ورموزها كخلفيات تاريخية. وإزاحة الغموض عن توظيف الأساطير في النحت الحديث.

أولاً: ما الأسطورة؟

هي من "الفعل سَطَرَ، والسّطْرٌ: الصّفّ من الكتب والشجر والنّخل. والسّطرُ: الخط والكتابة، وهو في الأصل مصدر. والأسطورة هي الأحدوثة، والأساطير الأباطيل والأحاديث التي لا نظام لها" (ابن منظور، 363). والأسطورة هي: "جمع إسطارٍ وإسْطيرٍ، وأُسْطُورٍ، وسَطَّرَ تسطيراً: ألَّفَ، وأتانا بالأساطير" (آبادي، 770).

هذا بحسب القواميس، أما الأسطورة بحسب موضوعاتها ومنهجيتها فقد وجدت لها تعاريف عديدة غير محددة، بحسب الآراء والتخصصات. حيث ذهب بعض دارسي الأساطير إلى أن الأسطورة عبارة عن: "حكاية مقدسة يلعب أدوارها الآلهة وأنصاف الآلهة. أحداثها ليست مصنوعة أو متخيّلة، بل وقائع حدثت في الأزمنة الأولى المقدسة، إنها سجل أفعال الآلهة تلك الأفعال التي أخرجت الكون من العماء، ووطدت نظام كل شيء قائم ووضعت صيغة أولى لكل الأمور الجارية في عالم البشر. وهي حكاية مقدسة تقليدية، بمعنى أنها تنتقل من جيل إلى جيل، بالرواية الشفهية" (السواح، 19). أي أنها الجزء الذي يحكي عن الحياة البدائية وشعائرها، وطوَّره الخيال الإنساني، ووظّفته الفنون جميعها.

ويرى البعض "أن أساطير العالم القديم إنما تمثّل واحدة من أعمق منجزات الروح الإنسانية وهو الخلق المُلهم لعقول شاعرية خيالية موهوبة، سليمة، لم يفسدها تيار الفحص العلمي ولا العقلية التحليلية" (علي، 1978، 14).

وذهب آخرون إلى أنها"تلك المادة التراثية التي صيغت في عصور الإنسانية الأولى وعبّر بها الإنسان في تلك الظروف الخاصة عن فكره ومشاعره تجاه الوجود.. فاختلط فيها الواقع بالخيال، وامتزجت معطيات الحواس والفكر واللاشعور، واتحد فيها الزمان، كما اتحد المكان.. واتحدت أنواع الموجودات من إنسان وحيوان ونبات، والتحمت في كل متفاعل مع مشهد

الطبيعة، وقوى ما وراء الطبيعة.. واتخذت من التجسيد الفني وسيلتها للتعبير عن كل خلجة من شعور وكل خاطرة من فكر، في تلقائية عذبة محببة، تنطوي على إيمان بأنها تعبر عن حقيقة الوجود" (داوود، 12).

والأسطورة، "عبارة عن تفسير علاقة الإنسان بالكائنات، وهذا التفسير هو آراء الإنسان فيما يشاهد حوله في حالة البداوة فالأسطورة مصدر أفكار الأولين.." (خان' 2007، 20).

إذاً، الأسطورة هي أساطير القدماء "وأحلامهم التي أخذت تعمّر أخيلتهم حينما شرعوا ينتقلون في سلّم التطور، من الحياة البدائية، إلى حياة التمدن والاستقرار، ثم التفكر في أسرار الكون، وتعليل القوى الخارقة التي تستتر وراء هذا العالم فتسبب الحياة والموت" (خشبة، 1983، 16). في تفكير سهل يقوم على الخيال والعاطفة، ثم كانت القصص والحكايات المنسوجة حولها.

والآن وبعد هذا التشخيص في تعريف الأسطورة، من زوايا عدة، نقف عند وظيفة الأسطورة، بشكل أوسع، وأيضاً نحاول البحث في بعدها الجمالي.

ثانياً: وظيفة الأسطورة وبعدها الجمالي:

لقد تشكلت مقدمات الوعي الأسطوري لدى الإنسان البدائي قبل ظهور الفلسفة والتفكير الفلسفي بزمن طويل. ولا شك أن تاريخاً طويلاً للفكر البشري سبق الرؤية الفلسفية للوجود وللعالم والإنسان، لذا لم يتوقف نزوع الإنسان لحظة نحو فهمه لذاته وللعالم المحيط به. لقد تماهت رؤية الإنسان لذاته وللعالم في معرفة أولية كانت مزيجاً من الأساطير والخرافات والديانات الشعبية والتجسيدات الطبيعية للآلهة..

وهذه التصورات التي يصنعها الأفراد إما عن علاقاتهم مع الطبيعة، وإما عن علاقتهم فيما بينهم، وإما عن طبيعتهم الخاصة" (عباس، 1996، 44)، ومن الطبيعي أن تتجلى هذه التعبيرات بأشكال عديدة، ومنها الشكل الفني، الذي احتل مكانة هامة لدى الحضارات القديمة. وقد اشتغل على هذه التصورات بوسائل فنية عديدة.

ويعدُّ البعد الجمالي للأسطورة من أهم ما يُعنى به هذا البحث حيث أن توظيفه في الفن/النحت يجعل الخيال فسيحاً، وتتعدد طرائق وأساليب النحت، ويتجلى المضمون في مستويات أعلى. فبعض النماذج النحتية المستوحاة من الأساطير، ما تزال تحتفظ بقوة شكله ومضمونه. ذلك أن خصائص الصور الفنية في الأساطير وأبعاد تشكّلاتها وتشكيلاتها، وتدفق الخيال، أهم ما يسترعي انتباه النحات الحديث والمعاصر ويجعله في عالم من الكتل والفراغات، والملامس والحركة خلال تشكل الرؤية.

فالخواص الجمالية في الأساطير: "القدرة على التشخيص ومنح الحياة الداخلية والشكل الإنساني لمعطيات الطبيعة والحياة، وهذه اللغة الفطرية النفاذة، والصور البيانية القادرة على الإحاطة والكشف، وهذا القدرة الطليقة للخيال الإنساني على ارتياد عالم المظاهر الطبيعية والنفس البشرية" (داوود، 39) هي ما يربط الفنان/النحات الحديث بأساطير الأولين.

وبجانب ثراء عالم الأسطورة وخواصها الجمالية، يظهر أن للأسطورة موقف من العالم والذات، وهذا الموقف في صميمه موقف فني "لأنه موقف صراع دائم بين الإنسان والوجود فالفنان/النحات وصانع الأسطورة في محاولة متجددة لإيجاد صيغة ملائمة للتوافق بينه وبين المجتمع، وبينه وبين قوانين الطبيعة، وبينه وبين المطلق.. وفي الأساطير الأولى محاولات التوفيق بين تناقضات الوجود، وإيجاد معادلة لصراع الخير والشر، والوجود والعدم، والجدب والازدهار، والإنسان والمجهول.. وهذا الصراع في الحقيقة هو جوهر كل فن عظيم" (داوود، 41)، وهو ما تستطيع النظرة المتأملة لنحت الحضارات القديمة ولنماذج من الأعمال النحتية الحديثة المرتبطة بالأسطورة أن تكشف عنه في أسطورة جلجامش، وسفر العنقاء، وتموز، وعشتروت وافروديت.. إنه صراع بين الإنسان والوجود وبين أوهامه والحقيقة.

إذاًالبعد الجمالي، يقدم علاقات جديدة عبر إثارة خيال النحات ومن خلال عناصر التشكيل من الكتلة والفراغ، والظل والنور والملامس والسطوح، والتكرار والإيقاع والحركة المستمرة..

لتكون مضامين الأسطورة الهدف الأولى لمقاربة الواقع، إضافة إلى المتعة في النظر والإحساس.

ثالثاً: علاقة الأسطورة بفن النحت الحديث:

لا شك أن العالم الذي نعيشه اليوم، عالم يكتنفه التناقض، ويعمه الاحتجاج، وتتسع فيه ثغرات الخراب، وتؤطره المدنية بهالة من القوانين والأنظمة التي تحد من حرية الإنسان وتكبّل توقه إلى معانقة طبيعته السّمحة التي تنشد البساطة والاطمئنان. فغَدَت العلاقات تتدهور، وأصبح كل شيء يقاس بمعيار مادي وأضحى الإنسان مغترباً في واقعه، إذ لم تعد العلاقات التي كانت تنبض بالوجدان حميمة دائمة، إنما احتواها التناقض والتذبذب، وأمسى القلق جوهر الأشياء في عالم متضاد يشكو الأرق والتّبرم" (علي،19).

ويعد توظيف الأسطورة في النحت العربي الحديث رؤية فكرية وفنية، أي يعتمد على مرجعيات فكرية أخرى أسطورية، وبذلك يشترك الطرفان بوعي جمعي، يتشكل فنياً وجمالياً. فالنحت معمارٌ فني يتأسس من المصادر والمرجعيات التي ينتمي لها النحات.

والنحت في جوهره لعبة الكتلة والفراغ وبالتالي الدلالات اللانهائية للمعنى، خاصة عندما يستند إلى الأساطير والفنون القديمة التي تحمل في نسيجها رموز ومعان وأفكار تتغير بتغير القراءة والوظيفة، لأن الأسطورة فضاء معرفي شاسع وهذا الفضاء يتشكّل من لغة فنية والتي بدورها تمنح الأفكار أشكالاً قابلة لتتحول إلى فن.

ومنذ بدايات القرن الماضي، سعى فن النحت الحديث للاستفادة من الأساطير والتراث فنزع نحو الحكايات الميثولوجية والأشكال الأسطورية، بين المحاكاة والتقليد والتجديد، ويبدو في الوقت نفسه شكلاً من أشكال السعي إلى تأصيل فن النحت العربي.

لهذا لم يجد النحات العربي الحديث إلا العودة إلى الأسطورة واستلهامها، لتقديم منجز نحتي مُطَعَّمٌ بالخيالية الأسطورية. وهذا ما يبدو جلياً في أعمال الجيل الأول من النحاتين الذين استثمروا على سبيل المثال من أساطير مصر القديمة، أو من بلاد الرافدين، أو من السورية القديمة، فكانت جزءاً هاماً في بنية الأعمال النحتية، من حيث الشكل والمضمون، والرؤى والأهداف الذاتية أو الموضوعية.

انطلاقاً من هنا، أنتج النحات العربي أعمالاً نحتية كثيرة ومتنوعة، تقوم مجموعها إما على أسطورة واحدة أو على أساطير عديدة ومختلفة وبحسب الأفكار والقدرات الفنية للنحات. وقد حظيت أسطورة جلجامش، والحيوانات المركبة وعشتار، وفينيق، والعنقاء، والطوفان وسواها عناية النحات لأنها توافق هموم الإنسان، والأمل، والقوة.

من هنا كانت محاولات النحات الحديث في تلك المنابع الضاربة في القِدم، ورموزها الغامضة والمغايرة التي يمكن بها أن يعود إلى بدايات الثقافة الإنسانية، وإلى أصل الأشياء، بل "إلى شيء من طبيعته الأولى، يلائم فيهبين التجسيد البدائي لتأمله، وطموح الإنسان الحديث في إعادة خلق عالمه. فلم يجد غير العودة إلى الوعاء الأول" (علي، 19)، أي إلى أساطير الأولين يحاكيها، ويقابل بين شكلها ومضمونها وبين الشكل والمضمون المعاصرين، فيستلهم منها مضامين جديدة، أو يوظف أشكالها في أعمال نحتية، ويعيد بناء الذات والعالم، "لأنه على بُعد المكان وعلى اختلاف الزمان يلتقي الإنسان بالإنسان عند نسيج الأسطورة المتشابه الموحد، ومنه يستمد الإنسان عطراً لا ينمحي ذكره بقدرته على الخلق والمحاكاة والإبداع" (علي، 20).

هكذا عكف النحات العربي على مقاربة الأسطورة بواقعه المعاش، واستخراج دلالات فكرية ودينية واجتماعية وثقافية، ووظفها كأولى بواكير الخيال الإنساني المبدع.

فالأساطير كما هو واضح في تاريخ النحت المصري القديم أو الرافدي أو السوري تعود إلى عهود قديمة. وتعد الفترة الحديثة امتداد لتلك الفترة.

وبعد دراسة نماذج من النحت الحديث وجدنا اتصال فن النحت الوثيق بالأسطورة، من خلال عناصر أسطورية تتسلسل

وتتباين في حيّز الكتل النحتية، وأشكال تسبح في عمق المضامين الأسطورية. وفي الفقرة التالية محاولة لتشخيص الأسطورة ووظيفتها في المنجز العربي الحديث في فن النحت.

رابعاً: توظيف الأسطورة في نماذج من النحت العربي الحديث:

في هذه الفقرة، وقفنا عند تجربة بعض النحاتين العرب الحديثين، حيث ارتكزت بعض تكويناتهم النحتية على الأساطير تلك التي من خلالها قدّم النحات تصوراته حول البيئة والمجتمع، وحول ذاته.

في النحت المصري الحديث:

تُعد الأساطير المصرية القديمة بمثابة قصص مقدسة، وكان قدماء المصريون يؤمنون بها. وتتميز الأسطورة المصرية بعمقها الفلسفي، وتبرز ظواهر الطبيعة، أو نشأة الكون، أو خلق الإنسان، وغيرها من المواضيع. وفي معظم الأحيان كانت شخصيات الأسطورة من الآلهة أو أنصاف الآلهة، أما تواجد البشر فكان مكملاً لا أكثر. والذي حدث بالنسبة للنحت المصري الحديث هو أن الإنسان صار هو أساس العمل، وما فكرة الآلهة إلا كمجاورات أو متممات. نجد هذه الملاحظة في الكثير من الأعمال النحتية المصرية الحديثة، خاصة تلك التي تعود إلى فترة الرواد.

ومن الأمثلة البارزة، تمثال "نهضة مصر"(الشكل1)، والذي يُعد من أشهر الأعمال الفنية/النحتية التي أبدعها رائد النحت المصري محمود مختار، والذيانتهى من تنفيذه عام 1926. وتدور فكرة العمل حول نهضة مصر وروحها بعد ثورة 1919.

الشكل(1) تمثال نهضة مصر، محمود مختار

نُفّذَ العمل بكتلة ضخمة من حجر الغرانيت. وكما هو واضح فقد نُحِت على شكل فلاحة مصرية تقف بجانب أبي الهول الذي يفرد قائمتيه الأماميتين في تعبير عن النهوض وقد وضعت يدها على رأسه، وهي تنظر إلى المستقبل.

في العمل قام النحات بتوظيف أبي الهول كجزء مهم من التكوين وعلى اعتباره الإله الشمسي حورس. وهو إشارة إلى سفنكس الوحش الأسطوري مع رأس إنسان، وقد ورد ذكره في الكثير من الأساطير والروايات القديمة كمخلوق وهمي من الأساطير المصرية، منها أن له جسد أسد ورأس إنسان.. وأنه كان في الأصل تمثالاً للإله أنوبيس، إله المقبرة، وأن وجهه قد أُعيد نحته على شكل ملك من عصر المملكة المصرية الوسطى من قبل أمنمحات الثاني.

والمهم، هنا، هو ما الغاية من توظيف هذه الأسطورة؟

يُظهِر العمل افتخار النحات المصري بآثاره وفنونه وأساطيره القديمة. وبحسب رأي بعض النقاد، فإن ما قصده "مختار" من هذا العمل هو التراث المصري القديم وقيمه الفنية والجمالية كما ارتبط بالوطن والحياة والبيئة في مصر، وبالإنسان المصري سواء كان رجلاً أو امرأة أو طفلاً أو زعيماً أو فلاحاً. ويعبر عن حالة مصر وآمالها في بدايات القرن العشرين.

بالمجمل وجد "مختار" في أبي الهول تعبيرات الصلابة والقوة والشموخ، ووظَّفها في العمل خلال فترة التدهور، واستطاع بمهاراته وحساسيته الفنية العالية تجسيد تلك التعبيرات بخامة الحجر التي تتناسب مع شكل ومضمون أفكاره في الانبعاث والنهضة. إضافة إلى نظرة الفلاحة – الأم – المصرية، التي تقف بجانب أبي الهول، وتنظر إلى مستقبل مصر بعزيمة وثبات.

في النحت العراقي الحديث:

كما هو معروف فقد امتلأت بلاد الرافدين بحضارات وشعوب مختلفة، مثل الآشورية والكلدانية والسومرية والحثية. وكانت لكل منها أساطيرها. إلا أنه وبالمجمل يمكن أن نلخص أهم الأساطير التي ظل تأثيرها مستمراً، وهي:

يتكون هذا العمل من عدد منالوحداتالنحتية البرونزية، الشكل(3- أ، 3- ب، 3- ج، 3- د)، استلهمها النحات من أساطير وفن النحت العراقي القديم، وحمّلها برؤى وأفكار جديدة بمعنى "استطاع دمجهما معاً بفكرة استلهام الماضي بوصفه موروثاً حضارياً، وصهره في بوتقة واحدة مع رؤية

أساطير الخلق وأصل الكون، وقصة الطوفان بأنواعها التاريخية والدينية. والأساطير الشعائرية وطقوسها. وأسطورة جلجامش وموضوعها الخلود والصراع، والصداقة. وأسطورة دموزي/تموز وايانا/عشتار. وأساطير بابل.. ولكلٍ منها رموزها ودلالاتها.

في الفترة الحديثة بدأ الفنان/النحات العراقي يكتشف أشكالاً ومضامين جديدة ومتوارية خلف تلك الأساطير، فبدأ يعيد تشكيلها، ويصيغ منها تكوينات تتناسب وروح عصره. من هنا يمكن القول أن الأساطير بدأت تتسرب إلى أعمال نحاتين عراقيين حديثين، منهم، جواد سليم وخالد الرحال، وحميد العطار، وغيرهم من الفنانين والنحاتين.

أدرك جواد أهمية الأساطير الرافدية وطاقتها الإبداعية، فقام بتوظيفها في منجزه النحتي، كما في نصب "الحرية"، (الشكل 2). ورغم أن هذا العمل يعكس تأثيرات الفن الغربي الحديث من حيث البناء، والأسلوب، إلا أنه ثريٌّ بأساطير وحكايات وأشكال الفنون العراقية القديمة.

الفن الحديث، وروح العصر، فكان الناتج المنصهر هو النحت العراقي المعاصر" (رضا، 2009، 118).

الشكل(2) نصب الحرية، جواد سلي

الشكل (3)- أ

الشكل (3)- ب

الشكل(3 – ج)

الشكل(3 – د)

ومن الأمثلة أيضاً على توظيف الأسطورة في النحت العراقي الحديث، جدارية وادي الرافدين (الشكل 4) للنحات العراقي خالد الرحال (1929-1986)، الذي ركّز على الأساطير والأعمال النحتية الرافدية القديمة، من آشور وبابل.. واستلهم منها موضوعاته الحديثة، فتفرَّد بأسلوب فني خاص في البناء النحتي.

الشكل (4) جدارية وادي الرافدين، خالد الرحال

في العمل المذكور، وفي جميع منجزه "جسّد الرحال رؤيته المنبثقة من ارتباطه بالفن العراقي القديم، وكان يمثِّل موضوعاته بحسّ وإبداعٍ عالٍ، وبأسلوب اتسم بالبساطة التي تمتد جذورها إلى عمق التراث العراقي القديم، وفي نفس الوقت يتجسّد بإطار حديث معاصر فاستطاع أن يحقق خصوصية فنية من خلال تراكمه المعرفي والبصري، والتعبير عن هويته العربية والعراقية. وعرف بتمثيله لمكونات البيئة الشعبية واستثمارها في إخراج موضوعاً فنياً مميزاً بعراقيته، من خلال انتماء مفرداته النحتية إلى البيئة العراقية" (اللامي، 2018، 8)، وبالتالي، تحقيق التعبير والانتماء الصادقين.

كذلك أخذت الأساطير الرافدية مكانة لها في تشكيلات النحات حميد العطار، (الشكل5)، (عشتار والثور السماوي)، و (الشكل 6)، (معبد عشتار)، و (الشكل 7)، وهي أعمال اُستُلهمت عناصرها من التراث الحضاري البابلي والسومري والآشوري، لتتبلور في النهاية على طريقة اللوحة التصويرية، أي: مزيج من فن الرسم وفن النحت بالجبس أو الطين وأشياء أخرى.. ليعبر بذلك، ومن خلال تلك الأساطير عن الواقع اليومي، ورفضه، ورغبة في تغييره.

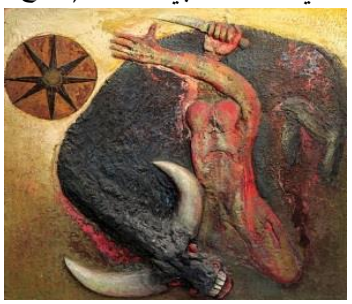

الشكل (5) حميد العطار

الشكل (6) حميد العطار

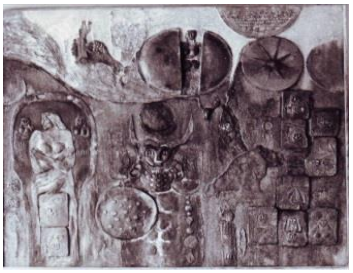

الشكل (7) حميد العطار

لقد استطاع حميد أن يوظّف التراث الرافدي وأساطيره ويكوّن أسلوبه الفني، على أن هذه العملية "غير منفصلة عن تاريخ وتراث وحضارة وادي الرافدين، وعن التلاقح الفني بين المدارس الفنية العالمية والعراقية، بل وفي عمقها التراثي والحضاري" (العطار، www.hamidalattar.art).

لقد عاد حميد إلى النحت القديم، وإلى الأساطير والملاحم، وفهم دورها بعمق "في صراعات المجتمع قديماً وحديثاً، وتجلياتها على حياة الفرد اليومية"(العطار، www.hamidalattar.art).

في النحت السوري الحديث:

فيما يخص النحت السوري الحديث واستلهام النحات أشكاله ومضامينه من الأساطير، فلابد من المرور سريعاً على الأساطير السورية القديمة.

كل حضارة ظهرت على أرض سورية القديمة لها أساطيرها، وأبطالها، ورموزها، وميثولوجيتها التي تخص الخلق، والطوفان، والإنسان.

فمن أساطير الآلهة البابلية والسومرية الآشورية والحثية القديمة، إلى أساطير كنعان وملاحم أوغاريت– رأس الشمرا، مروراً بالميثولوجيا الآرامية ومصادر فنونها، إلى الأساطير والخرافات الفينيقية وتماثيلها.. كل ذلك دليل على سؤال الحياة الموت، وسؤال الإنسان الدائم في بحثه عن المعنى.

أساطير وملاحم تحكي تاريخ بلاد الشام القديمة، وتكشف عن الأدوار التي قامت بها الآلهة، وصفاتها، وأعمالها، ووظائفها. حيث كان "البعل"، و"عشتروت"، و"رشف"، و"عشيرة"، وملقارت.. وغيرها من الآلهة والأساطير التي تدل على قيمة تاريخية وفكرية وفنية عظيمة الشأن.

وانطلاقاً من هنا، برزت في المنجز النحتي السوري الحديث تجارب نحتية استحضرت بعضاً من تلك الأساطير، ورأى فيها النحات السوري الحديث أشكالاً تعبيرية جديدة تتجاوز التقليد. وبذلك استطاعت الأساطير السورية القديمة أن تأخذ مكانتها الهامة في فن النحت السوري الحديث.

هذا التوظيف للأسطورة عرفه الكثير من النحاتين، وكانت في تجاربهم تلميحات ورمزيات أسطورية، وبالتالي، رؤى جديدة هي مزيج القديم والجديد.

من هؤلاء النحات عبد الله السيد، وعمله "سفينة نوح الدمشقي" الذي يصب في هذا السياق، وعمل "المركب" للنحات نزار علوش، وموضوع عملهما قصة الطوفان، وكذلك هناك "الأسد المجنح" للنحات نذير نصر الله.

أما في شأن منحوتة سفينه نوح الدمشقي الشكل (8: أ – ب – ج)، فهو مصنوع من الحجر الطبيعي، وله شكل مستطيل. أما عناصر العمل، فهي: إنسانية، وحيوانية مثل الطيور، والغزال، والأسد.. وعناصر أخرى كالشمس، والهلال، والناي..

(الشكل 8 – أ) للنحات عبد الله السيد

(الشكل 8 – ب) للنحات عبد الله السيد

(الشكل 8 – ج) للنحات عبد الله السيد

يحاكي العمل بشكل أو بآخر سفينة نوح وهذه السفينة تحمل البشر والحيوان والنبات ويدعو إلى التفكير بالمصير، وحماية البشر والحيوانات من الأزمات المحدّقة بهم.

أما بالنسبة لعمل النحات نزار علوش، فهو عبارة عن "رولييف جداري" (شكل9)، على شكل مركب، قام النحات بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام كما كانت سفينة نوح التي صنعها في سبيل النجاة من الطوفان المرتقب، بحسب القصة القديمة، وقداحتوى العمل على عناصر إنسانية وحيوانية ونباتية. وأيضاً، البحر، والشمس والسحاب، وأشياء أخرى.

(الشكل 9) للنحات نزار علوش

العمل يذكّرنا بقصة الطوفان، كما أشرنا. وهي قصة جاء ذكرها في العديد من الأساطير والقصص القديمة، كقصة الطوفان البابلية، واليونانية، وسواها. لكن في هذا العمل الحديث وجّه النحات رموز العمل نحو معانٍ وأهداف جديدة، وهي: أولاً، التأكيد على أهمية الأساطير وخاصة أساطير الشرق القديم، ثانياً، ربط القصة القديمة بأزمة الإنسان المعاصر، وحياته القلقة، ومحاولة النحات تنبيه الإنسان إلى مصيره، كون الإنسانية كلها في مركب واحد فإنها الغرق، وإما النجاة.

وقد عالج النحات عمله مستخدماً عناصر تشكيلية عدة للتعبير عن الفكرة، منها مجموعة من الخطوط المستقيمة والمتموجة، والمقوسة، وأيضاً، الإيقاع الناتج من الأشكال البارزة والغائرة، ومن الظل والنور.

إذاًاستلهم الفنان موضوعه من قصة الطوفان ليعبر من خلاله عن مصير الإنسان فضلاً عن الأسلوب التعبيري الذي مكنه من المزج بين الماضي والحاصر، وبين الواقعي والخيالي،

والجدير بالذكر أن فكرة قصة الطوفان كما وظفها النحات "السيد" و"علوش"، في عملهما الفنيين تأكيد على أن جميع

الناس يشتركون في هذه القصة، حيث أن عنصر المركب – السفينة هو عنصر لا متناهي – قديماً وحديثاً، وهو رمز، كما تم نحته، وفق طريقتين وأسلوبين مختلفين، يُصوّر مصير الإنسان، كما تقول الأسطورة.

أما الشكل (10: أ – ب)، وهو للنحات نذير نصر الله، فيمكن بداية الرجوع إلى أصل هذا الكائن الأسطوري.

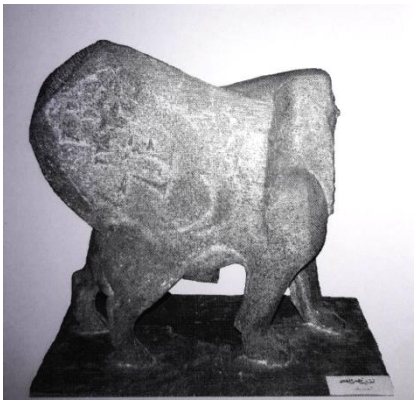

الشكل (10 – أ) للنحات نذير نصر الله

الشكل (10 – ب) للنحات نذير نصر الله

هو الثور المجنح، ويسمى أيضاً لاموسو، كما في الحضارة الآشورية والسومرية، ويقوم بمهمة حماية المدن والقصور ودور العبادة.. وظهر في العديد من التماثيل الضخمة "ككائن أسطوري مختلط التكوين فهو في أكثر الأحيان ثور مجنح برأس إنسان وأقدام أسد، أو برأس إنسان وأقدام ثور، وقد أخذ أشكالاً عدة خلال حقبات التاريخ.. وهو قوة تجمع أربع عناصر لتكون الكمال: الأسد للشجاعة والثور للقوة، والنسر للمجد، والإنسان للحكمة.

وفي العمل المذكور كان الهدف هو تنظيم تلك الأفكار وإقامة رابطة فنية وجمالية بينها وبين رؤى النحات.

فمن جهة يحاكي العمل الأساطير والحكايات القديمة في بلاد الرافدين وفي كل حضارة ظهر فيها الثور المجنح. ومن جهة أخرى استعاد النحات شكل الثور وفق تركيب فني مختلف بعناصر تصميمه (الشكل) ورمزياته ومعانيه (المضمون)، ليتناسب مع الفكر الجديد، ومحاولة الإنسان مواجهة الصعاب والأزمات، مستعيناً بإرادته وشجاعته.

الخاتمة والنتائج:

لعبت الأسطورة دوراً هاماً كقيمة فكرية وفنية وجمالية في بناء الأعمال النحتية الحديثة، من خلال توظيفها ونقلها من مستوى إلى مستوى آخر. وهي جزء من سياق الفن العام وتاريخ النحت الحديث، كما وارتبطت بأفكار الواقع والرؤى الخيالية للنحات الحديث.

وقد وصل البحث إلى جملة من النتائج هي حصيلة توظيف الأسطورة في النحت العربي الحديث، وهي:

1- تُعد الأساطير جزءاً من بنية ثقافة أي مجتمع وبها يعبر النحات عن انتمائه وهمومه، ويعبر من خلال أشكالها ومضامينها ورموزها عن الأصالة. والأساطير تؤدي إلى صياغات فنية جديدة خاصة بقيم التراث وبعيداً عن التقليد.

2- نجح النحات العربي في الكثير من الأعمال النحتية المستوحاة من الأساطير في إبداع مفاهيم ورؤى جديدة بعيداً عن المألوف من الأشكال والمعاني.

3- صارت الأسطورة في النحت العربي جزءاً من رؤية فنية وجمالية، بدليل تعامل النحاتون معها وفقاً لمفاهيم وأساليب جديدة، أي أن النحت العربي الحديث استفاد من الرؤية الأسطورية وموضوعاتها ودلالاتها، لكنه صاغ هذه المعرفة وفق صياغة لغوية تشكيلية جديدة.

4- عبّر النحات المصري، وخاصة محمود مختار عن هويته المصرية، وعن المشاكل التي أصابت الإنسان المصري بالأساطير التي تُعبّر عن القوة والشموخ والعنفوان، وقد حقق النحات هذه الرؤية عندما جعل المرأة المصرية الشخصية الرئيسية في عمله "نهضة مصر"، وبجانبها أبي الهول المتأهب.

5- وظّف النحات العراقي الأساطير والرموز في منجزه النحتي الحديث وعدَّ تلك الأشكال والمضامين الأسطورية من مصادر الإبداع والخيال، وربط ماضي الإنسان العراقي بحاضره.

6- كذلك، وظّف النحات السوري الحديث أساطير ومفردات ميثولوجية في أعماله النحتية، لإحياء

7- التراث القديم الذي يحمل دلالات ومعانٍ كثيرة تدفع نحو الانفتاح على أشكال جديدة، ومضامين تواكب الفن الحديث من جهة، وهموم الإنسان من جهة أخرى.

8- استطاع النحات السوري أن يعبر عن القلق من مصير الإنسان. كما هو واضح في عمل النحات "السيد" و"علوش". أما في عمل النحات "نذير" فكان الأمل بإحياء إرادة الإنسان وعزيمته لمواجهة الصعاب.

9- توظيف الأسطورة بشكل عام مناسبة فكرية وفنية وجمالية لانتقال الإنسان من مستوى إلى مستوى أرقى، كما تكشف الأسطورة عن أزمة الإنسان المعاصر.

10- بعد دراسة نماذج من فن النحت الحديث وجد اتصال وثيق بينه وبين الأسطورة.

التمويل: هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

المراجع:

1- ابن منظور، لسان العرب.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008.

3- فراس السواح، مغامرة العقل الأولى، ط11، دار الكلمة، بيروت، بلا تاريخ.

4- عبد الرضا علي، الأسطورة في شعر السياب، وزارة الثقافة والفنون – العراق، 1978.

5- أنس داود، الأسطورة في الشعر العربي الحديث، مكتبة عين شمس، مصر بلا تاريخ.

6- محمد عبد المعيد خان، الأساطير والخرافات عند العرب، ضمن سلسلة "آفاق الثقافة"، وزارة الثقافة، دمشق، 2007.

7- أساطير الحب والجمال عند اليونان، دراسة ونصوص، درّيني خشبة، الجزء1، ط1، دار التنوير العربي، بيروت، 1983.

8- فيصل عباس، الفلسفة والإنسان، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، 1996.

9- إيهاب أحمد رضا، خصائص الشكل في منحوتات مرتضى حداد، مجلة أكاديمي، عدد 5، جامعة بغداد، 2009.

10- بهاء اللامي، النحت العربي المعاصر وإشكالية تحقيق الهوية – مصر والعراق نموذجاً، مجلة الفنون والعلوم الإنسانية، العدد 2، جامعة المنيا، مصر، 2018.

11- الفنان التشكيلي حميد العطار، المصدر، www.hamidalattar.art